جامعة تكريت

كلية التربية للعوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة : نظرية الأدب

المرحلة : دكتوراه أدب

عنوان المحاضرة

النظرية البنيوية

أ.د. نرجس خلف أسعد

المنهج البنيوي

تربع المؤلف في إطار المناهج النقدية السياقية على عرش النقد الأدبي لقرون عدة ، من دون أن يلتفت أحد لقرينيه الأساسيين في العملية الأدبية – النص والقارئ – فكان محور اهتمام النقد والنقاد منذ نشوئه حتى لحظة ولادة النص ؛ إذ تتبعوا كل ما يحيط به من ظروف تاريخية ، وتقلبات اجتماعية وسياسية ، وعقد نفسية ، محاولين استنباط تأثيراتها في شخص المؤلف ، ومن ثَمَّ مدى تأثيرها على العمل الأدبي بشكل خاص .

ونحن هنا لا نرفض المناهج السياقية رفضاً تاماً ، بل نؤكد على دورها في العملية النقدية ؛ ((فالمناهج السياقية حاضرة دوماً في كل قراءة أدبية / نقدية ، بمعنى أنها المفتاح الذي يفتح لنا باب متعة النصوص والتذكير بأهميتها ، أما غيابها – وبمعنى أصح تغييبها – فهي محاولة لا يمكن الركون إلى صحتها لأن ذلك يقدم لنا نصاً معزولاً ولا يرتبط بفضاء الورقة ، بمعنى أن لاشيء خارج النص ، وهو ما دأبت المناهج النصية أن تجعله محور اشتغالها))[1] .

الجديد الذي جاءت به النظرية البنيوية في الأدب ، هو الإعلان عن موت المؤلف ، كما أشار إلى ذلك الناقد الفرنسي الشهير رولان بارت في مقالته الشهيرة (موت المؤلف) ، وبالمقابل أعلنت عن إحياء وبعث النص إلى الحياة ، إذ أعادت الحياة إلى النص ، فالعمل الأدبي لديهم يبدأ وينتهي بالنص .

فالبنيوية منهجٌ بحثيٌ يقوم على دراسة العلاقة التي تربط بين الأجزاء وتحدد النظام الذي تتخذه في ما بينها ، وهي ((نمط من التفكير حول الظواهر الإنسانية ينطلق من فرضية أساسية وهي انتظام الظواهر في بنى كامنة وانحكام الدلالة بالعلاقات القائمة ضمن تلك البنى أو مابين البنية والأخرى))[3]. ولمعرفة المزيد عن المنهج البنيوي حريُ بنا أن نعود إلى الجذور الأُول للمنهج البنيوي .

مدرسة جنيف :

---

(1) الخطاب النقدي عند أدونيس ... قراءة الشعر أنموذجاً ، د. عصام العسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2007 / 4 – 5 .

(3) دليل الناقد الأدبي .... إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً ، د. ميجان الرويلي – و د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، 2000 / 270 .

إذا جاز لنا أن نقسم اتجاهات وتيارات النظرية البنيوية على مدارس وحركات باعتماد التقسيم التاريخي ، وبحسب ظهورها على الساحة الأدبية والنقدية العالمية ، فلنا أن نبدأ بمدرسة جنيف التي تعد الرائدة في مجال الدراسات اللغوية ، متمثلةً بآراء عالمها الفيلسوف واللغوي فرديناند دوسوسير الذي قام بإلقاء محاضرات في علم اللغة العام ، وجمعت هذه المحاضرات بمبادرة من طلابه في جنيف ، وطبعت عام (1916) بعنوان (دروس في علم اللغة) .

تقوم مبادئ دوسوسير على الفصل أو التمييز بين ما سماه اللغة(Langue) والكلام (Parole) ، أي ((بين نسق اللغة الذي هو سابق في وجوده على استخدام الكلمات ، والممارسة الفعلية التي هي تلفظ فردي . أما اللغة ، فهي الجانب الاجتماعي أو النسق المشترك الذي نعول عليه لاشعوريا بوصفنا متكلمين . والكلام هو التحقق الفردي لهذا النسق في الحالات الفعلية من اللغة))[2]

كما تحدث عن ثنائية الدال والمدلول ؛ إذ أشار إلى أنّ اللغة تتألف من دال (Signifiant) ، ومدلول (Signifie) ؛ أي صوتٌ وتصور ، فالإشارة المكتوبة أو المنطوقة تسمى دالاً ؛ أما المفهوم الذي نعقله من هذه الإشارة فيسمى مدلولاً . والدال والمدلول متلازمان كوجهي العملة الواحدة ، لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ، وهما يشكلان طرفي الإشارة (العلامة) .

في هذه الثنائية يرى سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية[3] ، لما يرى أن صفة الدال خطية ، فالدال ثابت عنده والمدلول متغير ، ويشكل هذا المبدأ البنية الأساسية التي أعتمد عليها البنيويون ، واتخذوها نقطة عبور لهم في دراساتهم للغة والأدب ؛ ذلك لأن لغة الأدب ((تتحمل دلالات لا دلالة واحدة ، أو أن الدال الذي كان مقيداً لمدلولٍ محدد تحرر منه وصار متعدد المعاني ، ولذلك هي لغة لتشويش عملية الاتصال ، في حين إن لغة التبليغ والتواصل لا أدبية)) [1]، واللغة مؤسسة اجتماعية وليست فردية تحكمها أعراف وقوانين محددة .

يتحدث دوسوسير عن ثنائية جديدة هي ثنائية التزامن والتعاقب ، ومن خلال هذين المفهومين يمكننا دراسة الأشياء أو اللغة على وفق محورين أو اتجاهين ، الأول : أن ندرس

---

[2] ينظر : الخطيئة والتكفير / 47 وما بعدها .. .
[3] النظرية الأدبية المعاصرة / 88 .
[1] جماليات الشعرية ، د. خليل الموسى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2008 / 239 .

الأشياء على وفق العلاقات القائمة بين الأشياء المتزامنة . وهو ما يدعوه سوسير بمحور التزامن . فالتزامن ((يفترض إذاً بنية متكونة ، منتظمة الحركة ، مبلورة النسق ، بنية تعمل بقوانين لها . وهي في خصائصها هذه قابلة للعزل ولكشف نظامها ولكشف قوانين هذا النظام وحركة تلك العناصر المتعايشة في هذه البنية وفقاً لهذا النظام))[2].أما المحور الثاني: فهو أن ندرس شيئاً واحداً أو حالةً واحدةً على وفق التطور الزمني لها وهو ما يدعى بالتعاقب. فالتعاقب هو دراسة العلائق بين عناصر متعاقبة يحل فيها كل عنصر محل العنصر الأخر بمرور الزمن .

المدرسة الشكلية الروسية :

تبلورت المدرسة الشكلية الروسية من خلال اجتماع مدرستين معروفتين ، عرفت أحداهما باتجاهاتها اللغوية وهي مدرسة موسكو ، والثانية عرفت باتجاهاتها الأدبية ، وهي مدرسة بطرسبورغ . ومن أبرز أعضاء المدرسة الأولى رومان جاكبسون ، الذي غادر الإتحاد السوفيتي إلى تشيكوسلوفاكيا ؛ إذ أسهم بتأسيس مدرسة براغ اللغوية ، وذاع صيته من خلالها على نحو واسع . أما المدرسة الثانية فكان من ابرز أعضائها فكتور سكالوفسكي وبوريس إيخنباوم .

تبنى الشكلانيون مفهومين أساسين ، هما ((عشوائية العلامة في علاقتها مع ما تشير إليه ، والاختلاف الذي يساعد على إقامة العلاقات المعقولة بين الرموز في البناء الأدبي أو اللغوي عامة)) [1]. وسعى الشكلانيون إلى إقامة علم للأدب قائم بذاته ، وقد تيسر لهم ذلك مع مقولة جاكبسون الشهيرة

((إن موضوع الدرس الأدبي ليس الأدب بكليته وإنما المسحة الأدبية ، أي ما يجعل عملاً معيناً عملاً أدبياً)) [2].

مدرسة براغ

---

[2] في معرفة النص ، يمنى العيد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1985 /33 .

[1] نظرية النقد الأدبي الحديث ، د. يوسف نور عوض ، دار الأمين ، القاهرة ، ط1 ، 1994 / 15 – 16 .
[2] البنيوية وعلم الإشارة ، ترنس هوكز ، ترجمة مجيد الماشطة ، مراجعة د. ناصر حلاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1986/ 56 .

ذكرنا فيما تقدم أن المدرسة الشكلية الروسية تكونت من اجتماع مدرستي موسكو وبطرسبورغ ، اللتين لم تكونا على انسجام ووفاق مع النظام السياسي في الاتحاد السوفيتي ، مما اضطر شخصياتها إلى السفر إلى تشيكوسلوفاكيا ، وانضموا هناك إلى صفوف مدرسة براغ اللغوية ، التي كان يتزعمها التشيكي (ماتياس) ، وكان محركها الأساس (رومان جاكوبسن) ، مؤسس المدرسة الشكلية الروسية . الذي ذهب ملحقاً ثقافياً في براغ ، وسرعان ما انضم إلى صفوف هذه المدرسة وكان من أبرز شخصياتها[4].

من أهم مبادئ مدرسة براغ الجمع بين مفهومين ؛ الأول : ينظر إلى اللغة بوصفها بنية متماسكة وليست عدداً من الكيانات اللامترابطة ، والثاني : الإقرار بعدد من الوظائف التي تنفذها اللغة في المجتمع وتحليل هذه الوظائف ، ((وهكذا تعمل الوظيفة المعرفية أو الإشارية للغة عندما تستعمل لنقل المعلومات ، وتبرز الوظيفة التعبيرية أو العاطفية عندما تستعمل اللغة الإشارة إلى حالة المتكلم أو الكاتب أو موقفيهما . كما تظهر الوظيفة النزوعية او النصحية عندما تستعمل اللغة للتأثير في الشخص الموجه إليه)) [1].

<u>مدرسة كوبنهاجن</u>

يمثل كلٌ من (برونداال) و (جيلميسليف) أبرز شخصيتين في مدرسة كوبنهاجن البنيوية ، إذ كان لهما الدور البارز في تثبيت أركان هذه المدرسة .

قام برونداال بشرح الأبنية الصرفية الكبرى ، لتطابق المقولات التي تعبر عنها في علاقاتها الأساسية ، وتنظيمها في لوحات محددة ، إذ يعتمد على المبدأ الثنائي الوظيفي ، فيميز بين السلب والإيجاب ، والمفرد والجمع ، والماضي والحاضر.[3]

أما جيلمسليف فيعود له الفضل في تنميته لنظرية لغوية متماسكة أبرز بها هوية مدرسة كوبنهاجن في الفكر اللغوي الأوربي ، فدعا إلى ((اعتبار علم اللغة – لا مجرد مجموعة من الظواهر التي تتصل بعلوم الطبيعة ووظائف الأعضاء والمنطق والاجتماع – وإنما على انه كيان قائم بذاته وبنية مستقلة في نفسها ، وذلك لمقاومة التيار الإنساني التقليدي الذي وسم الدراسات اللغوية بطابع شعري قصصي غامض أو شخصي جمالي)) [1] ، إذ كرس علمية اللغة واستقلالية منظوماتها في التكوين والعمل وربما تكون مدرسة كوبنهاجن قد عالجت الجانب

---

[4] ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي / 74 .
[1] البنيوية وعلم الإشارة / 69 .
[3] ينظر :المصدر نفسه .
[1] ينظر : نظرية البنائية / 92 – 93 .

العملي الأكاديمي في المنهج البنيوي ، وطوّرت الجانب اللساني المشتغل في حقل إنتاج الدلالة على نحو عميق وخصب .

المدرسة البنيوية الأمريكية

شهدت أمريكا تياراً عرف باسم (علم اللغة البنيوي) ، وخير من يمثله من الجيل الأول إدوارد سابير ، الذي ركز اهتمامه على المدرسة العقلية ، وبلومفليد ، الذي كان مهتماً بالمدرسة السلوكية . أما من الجيل الثاني فكان أبرزهم نعوم تشومسكي .

أصدر إدوارد سابير كتابه الوحيد (اللغة) عام (1921 م) ، الذي ضمنه آراءه اللغوية البنيوية ، والذي عرف اللغة في مقدمته بوصفها جهازاً لاشعورياً . كما ناقش علاقة اللغة بالفكر ، واعتبار اللغة نظاماً رمزياً خالقاً للتصورات . ويسمي طرائق استخدام الشكل في اللغة " العمليات النحوية " ، وتصنف العمليات النحوية على ستة أنماط رئيسة :[2]

1- ترتيب الكلمات أو نظام الرتبة . 2- التركيب 3- الإلحاق 4- التعديل الداخلي للعنصر الجذري والنحوي 5- التضعيف 6-الفروق النبرية .

عرفت نظرية تشومسكي بـ (النظرية التوليدية) ، التي تمثل الجسر الذي يصل بين الاشتغال العلمي في ميدان اللغة والعقلانية .. وتنظر القواعد التوليدية إلى اللغة ((بوصفها جملة من القواعد المتناهية ، والقادرة على توليد جمل لا نهاية لها . ثم إن صلتها بالعقلانية قد مكنتها من أن تضع لكل جملة تنتجها قواعد اللغة وصفاً بنيوياً يعود بها إلى نموذج من النماذج اللغوية " القواعد "))[1] . تقوم نظرية تشومسكي في القواعد التوليدية على ثلاثة مكونات[2]: 1-المكون النحوي : وهو نسق من القواعد ، به يكون إنتاج الجمل ، وإليه يكون احتكام اللغة في هذا الإنتاج .

- المكون الدلالي : وهو نسق من القواعد ، به نصل الى تأويل الجمل التي ينتجها المكون النحوي .

---

[2] ينظر: معرفة الآخر / 47 .
[1] اللسانيات والدلالة ، د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 2 ، 2007 / 187 .
[2] نقلاً عن اللسانيات والدلالة / 188 .

- المكون الصرفي والصوتي : وهو نسق من القواعد ، به تنجز الجمل التي ينتجها المكون النحوي في سلسلة من الأصوات وصورٍ من الصيغ .

المدرسة البنيوية الفرنسية

تتمثل البنيوية الفرنسية في مجال الأدب بآراء رولان بارت ، إذ تأثر بآراء فرديناند دي سوسير ، الذي وضع أسس علم العلامات (السيميولوجيا) ، فضلاً عن آرائه التي أسس من خلالها لعلم اللغة العام . كذلك آراء كلود ليفي شتراوس ، الذي طبق علم اللغة البنيوي على الظواهر الإجتماعية . وخطط شتراوس لإثبات الأصول العامة المشتركة لكل أسطورة وكل فكر ، وذلك ((بالتمييز بين " اللغة " (النسق اللغوي المجرد) و" الكلام " (المجلى الفردي للغة) ، وبالتمييز بين المستويات الفونيمية (المميزة) للكلام والأنساق المجردة للعلامات " بثنائيتها التي تتضمن جانبي المفهوم وصورة الصوت ")) [3].

اشتهر بارت بعبارة (موت المؤلف) ، التي تحمل عنوان مقال كتبه بارت ، وينظر فيه إلى الكتابة بأنها ((هدم لكل صوت ، ولكل أصل . فالكتابة هي هذا الحياد ، وهذا المركب ، وهذا الانحراف الذي تهرب فيه ذواتنا . الكتابة ، هي السواد والبياض ، الذي تتيه فيه كل هوية ، بدءاً بهوية الجسد الذي يكتب))[1].

يرفض بارت ربط النص بمؤلفه ، ويرفض العلاقة السابقة بين المؤلف والنص ، التي تؤكد على أن وجود المؤلف سابق على وجود النص ، ويشبهها بتلك العلاقة التي تربط الأب بالابن ، فالأب سابق في الوجود على وجود الابن . لكن بارت يرى أن الزمن تغير وأصبح المؤلف على خط تماس واحد مع النص ، إذ هو يلد في الوقت نفسه الذي يلد فيه نصه ، ان النص لا ينطوي على كائن سابق أو لاحق على كتابته . فلا وجود لزمنٍ غير زمن الكتابة[3].

---

[3] عصر البنيوية ، إديث كريزويل ، ترجمة جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط 1 ، 1993 / 252 .

[1] نقد وحقيقة ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط1 ، 1994 / 15 .

[3] المصدر نفسه / 20 .